

الرواية الجزائرية مسألة للتاريخ واستحضار للموروث الثقافي  
قراءة في عتبات روايات عز الدين جلاوجي أنموذجا-

Algerian novel questioning of history and evoking cultural  
heritage - Reading in thresholds the novels of Ezzedine Glaouji as a  
model

إلهام بن مايسة<sup>1</sup>\*

<sup>1</sup> جامعة ابن خلدون\_ تيارت imily22s@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/10 تاريخ القبول: 2021/12/29 تاريخ النشر:

2021/12/31

ملخص:

تشير الدراسات النقدية المعاصرة مسألة العتبات في الخطاب الروائي باعتبارها نصوصا محيطية لا تقل أهميتها عن النصوص ذاتها، حيث تسهم في بناء معماره الفني بما تضيفه من أثر جمالي ودلالي، لتصبح من مهام الناقد الكشف عن مظاهر تحققها وكيفية اشتغال نسقها وتعدد دلالاتها بوصفها علامات مضيئة تمارس وقعا جماليا وتأثيرا نفسيا ومعرفيا على المتلقي. تأتي هذه الدراسة للكشف عن استراتيجية عز الدين جلاوجي في شحن عتبات رواياته بحمولات منبعها التاريخ والموروث الثقافي. كلمات مفتاحية: عتبات. رواية. متفاعلات نصية. تاريخ. موروث ثقافي.

**Abstract:**

Contemporary critical studies raise the issue of thresholds in narrative discourse as surrounding texts as important as the texts themselves , where they contribute to the building of its artistic form with its aesthetic and semantic effect the task of the critic becomes to detect them as luminous signs that exert an aesthetic, psychological and cognitive effect in the recipient.

This study reveals Ezzedine Gellaouji's strategy of shipping the thresholds of this novels with semantic loads history and heritage.

**Keywords:** Thersholds; novel; text interactions; history; cultural heritage.

## 1\_ مقدمة

تعتبر الرواية الجنس الأدبي الذي يجنح في فنيته نحو الخيال فيتخذ من الحكيم مادة خاما له، يصوغ أحداثها ويخلق شخصياتها، ويمزج بين الخيال والواقع بغية الوصول إلى حبكة بالغة التعقيد، كما تعد امتدادا لأجناس أدبية سابقة مثل الأسطورة والملحمة. عرفت طريقها نحو الانتشار في العالم العربي مع مطلع القرن التاسع عشر، ولكون السرد العربي قد نهل عن المرجعية الحكائية الغربية في تبني هذا الجنس الأدبي الجديد فإنه ظل يرقب ما اعتراه من تطورات ثمنتها الأعمال الروائية الغربية المتنوعة التي بلورت تجربة متميزة اعتمدت العناية بالأساليب السردية وتوظيف التقنيات الفنية التي تمس الشكل والمضمون، حيث يسعى الروائي من خلالها إلى تفعيل خاصيتي الإقناع والتأثير على المتلقي وتعزيزها لتحمله إلى عوالم خيالية لا يسهل عليه التحرر من غوايتها.

### \_ التجريب في الرواية بحث في أفق التجديد:

تستقي الرواية أهميتها من كونها نوعا أدبيا عرف من الانتشار والشهرة ما لم يعرفه أي نوع آخر \_ حتى الشعر نفسه \_ وتملك من الليونة ما يمنحها قابلية احتواء باقي الأنواع الأدبية على غرار القصص والأمثال والألغاز والشعر والمسرح، كما تتخذ سبلا شتى في نقل الحدث فتتعدد طرائقها وتتنوع آليات اشتغالها ويغدو بناء الرواية "تركيبيا فنيا منسجما يتضمن نظامه وجماليته ومنطقه الخاص.. ويتعلق تحديدا بكافة العناصر البنائية والأسلوبية الداخلة في تكوين الرواية والتي تمكن الكاتب باستعمالها من الحصول على عمل فني متناسق ومقنع بمادته وطريقة تأليفه"<sup>1</sup> وإن كان الإبداع الروائي قد جنح أيضا نحو التنوع في الموضوعات بغية فتح أفق أرحب للتجريب، فلا يتقيد بشكل أو قالب معين ما يسمح له بمسايرة مختلف التغيرات والتطورات التي تمس المجتمع.

تعتبر الرواية الجنس الأدبي الأكثر محاكاة للواقع، ما يجعلها الأداة الأكثر فاعلية في الوقوف على مشكلاته وتحدياته فهي "ذلك الشكل الأدبي الذي يقوم مقام المرأة للمجتمع مادتها إنسان في المجتمع، أحداثها نتيجة لصراع الفرد ضد الآخرين، للملاءمة بينه وبين مجتمعه، ينتج عن هذا الصراع خروج القارئ بفلسفة ما، أو رؤية عن الإنسانية"<sup>2</sup> فهي فن يستغل خصوصيته وفرادته في طرح مشكلات اجتماعية والتعبير عنها من خلال الشخصيات الروائية التي يتم استدعاؤها لتمثيل ملامح الخير والشر،

الفضيلة والرذيلة عبر أزمنة مختلفة وبيئات متباينة وظروف متناقضة، فقد "ارتبطت الرواية بالحياة والمجتمع، وهذا ما جعلها ذات طبيعة خاصة وذات وظائف محددة، وجعلها صورة خيالية مركبة من أشخاص وأفعال وأقوال وأفكار، من جنس الأحداث التي تجري في المجتمع وعلى شاكلة الأشخاص الفاعلين فيه"<sup>3</sup> فتغدو الرواية التعبير الأكثر صدقا عن التجربة الإنسانية، تصور الناس في كيفهم مع الظروف الحياتية المتغيرة وفي مواجهة مصائرهم، تكشف بلسانهم عن واقعهم، تحمل همومهم ووجهات نظرهم، تطلعاتهم وإخفاقاتهم.

يمنح التجريب بما يوفره من تقنيات وفنيات الخطاب الروائي فرصة بلوغ مرحلة النضج الفني، فيزود الكاتب بالقدرة على كسر النموذج الثابت والنمطي من خلال تخطي عوالم القصة الواقعية وولوج عوالم أخرى تتداخل فيها التاريخية والشعبية، الأسطورية والعجائبية... تخادع أفق توقع القارئ وتدفع به بعيدا عن خطية المؤلف والاعتيادي ليغوص في عمق الخيال الفني فتجاذبه أمواج الأساليب السردية وتأسره متاهة السرد وتجبره على فك الرموز وتتبع الشفرات ليعيش متعة القراءة، ما حمل صلاح فضل في تعريفه لمفهوم التجريب على جمع أساسياته ضمن ثلاثة دوائر وبنيات، وسنقتصر على الدائرة التي نتناولها بالدراسة وهي التي تتعلق ب" اكتشاف مستويات لغوية في التعبير تتجاوز نطاق المؤلف في الإبداع السائد، ويتم ذلك عبر شبكة من التعالقات النصية التي تتراسل مع توظيف لغة التراث السردية أو الشعري أو اللهجات الدارجة أو أنواع الخطاب الأخرى لتحقيق درجات مختلفة من شعرية السرد"<sup>4</sup> فاستدعاء نصوص سابقة تسهم في تفاعلها مع واقع الكتابة الجديد وفي خلق نص متفرد يستقي ملامحه من تجربة الكاتب الشخصية وتراكم خبراته وتعدد مصادر قراءاته.

## 2\_ الرواية الجزائرية ورهان التجريب/ استدعاء للتاريخ وتوظيف للتراث

إذا كان الأدب الوسيلة الأكثر تأثيرا لما له من قابلية للتوليد والانزياح، ما يجعل منه الفن الأكثر قدرة على تحويل المعاناة الحسية إلى نص ذي قيمة جمالية ف"النص الأدبي مزيج من الواقع وأنواع التخيل، ولذلك فهو يولد تفاعلا بين المعطى والمتخيل"<sup>5</sup>، فإن الرواية بوجه خاص تجعل كل ما يرتبط بالمجتمع، الحياة والنفس أولى أولوياتها، فتنتفتح على الزمن والتاريخ، وتغدو التجربة الإنسانية محور اهتمامها، فتمدها بما يغني مادتها الحكائية من تقنيات فنية وجمالية

على غرار التفاعل النصي الذي اتخذ لنفسه تسميات متعددة، منها الحوارية والتداخل النصي والتناص والتناصية وغيرها، ما يعمل على تحفيز النص الروائي على استعادة لحظات الكشف التاريخي والإنساني، فهذا الإجراء يجعل النص السردي يتحول إلى بنية مفتوحة تعمل على جذب النصوص السابقة واستقطاب أصوات نصية، فنية، فكرية ودلالية، طالما أن أدبية الأدب تقترب بالسياق الثقافي الذي يربط النصوص بشبكة من العلاقات المعقدة.

لعل من بين الرهانات التي يخوضها الخطاب الروائي العربي المعاصر موضوع التاريخ، إذ يعد مصدراً مهماً للأديب المبدع يستلهم منه ما يثري مادته الحكائية دلاليًا، "فالتاريخ شأنه شأن الرواية، خطاب سردي. ومهما بالغنا في إسباغ البعد المرجعي عليه فإنه يظل خطاباً منجزاً في مقام محدد تتحكم فيه اعتبارات شتى توجهه وتضيء مسالكه وكذا الشأن بالنسبة إلى الرواية، فهي وإن بدت خطاباً تخييلياً، لا تنقطع صلتها بالمرجع انقطاعاً تاماً"<sup>6</sup> لكون الأحداث والشخصيات التاريخية تتحول رموزاً قابلة للتجدد تظهر على مستوى الخطاب في صيغ وأشكال مختلفة تجسد مشاعر الكاتب اتجاه قضايا وطنية أو إنسانية وفق رؤى معاصرة، فالنص الروائي يتجاوز انغلاقه على الداخل من خلال الانفتاح على بنايات نصية أخرى سابقة زمنياً يتم استحضارها، فتتماهى فيه وتشكل بناءً متناسقاً تتناغم بنياته الأسلوبية والتركيبية لإنتاج نص يفيض أدبية وشعرية، ومن ثم كان الروائي العربي في تعامله من التاريخ كمتفاعل نصي يتجاوز الإطار البنيوي للخطاب ويتعداه بحثاً عن أمجاد خالدة، وثوابت راسخة، عن هوية ضائعة ورموز تائفة صنعت مجد التاريخ الإسلامي والعربي على وجه العموم والعالم في كثير من الأحيان، فالتاريخ ليس مجرد زمن ولى بل نجد جنوره تنبت وتتخلل اليومي فينا بما تحمله من أثر اجتماعي متوارث يفرض فتنته وسطوته وقديسيته.

تدخل الرواية الجزائرية غمار التجريب من خلال توظيف استراتيجيات سردية تجعل من التفاعل النصي مظهراً لتجاوز النموذج التقليدي للنص الحكائي، ف"فن الرواية تجريبي في الثقافة العربية على وجه الخصوص، لأنه كان يتداخل مع أنواع السرد التاريخي والشعبي، الديني والعجائبي"<sup>7</sup>، فتفسح المجال أمام التراسل بين الأجناس الأدبية والفنون، فتمازج بين الشعري والنثري متجاوزة الحدود بين النصوص من جهة وتتهل من تاريخها الحافل بالبطولات ذلك المعين الذي

لا يضب من القيم الدلالية ما يكسبها صبغة فنية خاصة وإن كانت تتجاوز تجربتها الثورية لتعانق التاريخ العربي والإسلامي ولتوسع من نطاق القومية فتبحث في تاريخ الإنسانية جمعاء ولا تكاد رواية جزائرية تخلو من هذا المظهر الفني من خلال التطرق للوقائع والأحداث أو الإشارة إلى الشخصيات.

غدت الكتابة الروائية الجزائرية في ظل التوجه التجريبي تعمل على توظيف التاريخ من خلال استدعائه بطريقة فنية حيث يستقي مرجعيته المعرفية من التجربة الإنسانية التي تنوعت بين القديم والحديث، ووجدت في تاريخ الجزائر الزاخر مادتها الأولى، فعبرت عن روح الوطنية من خلال نضال الشعب ضد المستعمر في مختلف مراحلها التاريخية كما وجدت في المحطات المرتبطة بالعالم من أحداث معينة لا يضب "باعتبارها مادة ثقافية، يمكن تحويلها، أو رأسمالا رمزيا يمكن صرفه أو استثماره، أو منجما معرفيا يصلح التنقيب فيه، أو بنى لا معقولة، ينبغي تفكيكها أو حقا دلاليا. ثمة حاجة إلى أن يقلب ويعاد حرثه،"<sup>8</sup> وإن كانت هاته المادة الثقافية لا تشمل التاريخ كوقائع وأحداث فقط إنما تجمع ما ينضوي تحته من توظيف للتراث فتكشف عن وجه آخر للكتابة الروائية الجديدة التي شهدت تطورا على مستوى التجريب وإنتاج النصوص من خلال "تقديم نصوص جديدة تتأسس على قاعدة استلهاام النص السردي القديم، واستيعاب بنياته الدالة، وصياغتها بشكل يقدم امتداد التراث في الواقع، وعملها على إنجاز قراءة للتاريخ، وتجسيد موقفه منه، بناء على ما تستدعيه مقتضيات، ومتطلبات الحاضر والمستقبل،"<sup>9</sup> فالعمل على توظيف التراث في الأعمال الأدبية يحظى بأهمية كبيرة لتنوع مصادره الدينية والأدبية والتاريخية والأسطورية والشعبية، وتنوع أساليب توظيفها.

يعد توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية إسهاما في الحفاظ على مقومات الأمة العربية والإسلامية باعتباره يعمل على ترسيخ ثقافات الشعوب وتاريخها كونه جزءا لا يتجزأ من كينونتها وأصالتها فيصنع خصوصيتها وتميزها، فيفتح أفقا رحبا يغني الإبداع الروائي بألوان وضروب شتى من التعابير تخدم البناء الروائي على المستوى الجمالي والمستوى الفني فيعمل على نقل صور الحياة في المجتمعات السابقة كما يحمل إلينا خبراتها في طابع من التجريب يخرج بالرواية عن النموذج التقليدي الجاف إلى شكل أدبي أكثر ليونة ومرونة وقابلية لتجاوز خطية الأزمنة. فالرواية الجزائرية تهدف إلى توظيف التراث بغية إحيائه وبث روح الحياة فيه والتجدد من

خلال إعادة صياغته وإدراجه في سياقات جديدة واستثمار ما يوجد به من رؤى وأفكار مستغلة قدرته على النفاذ إلى روح القارئ والتأثير فيه.

### 3\_ التفاعل النصي في روايات عز الدين جلاوجي:

تدخل نصوص الكاتب الواحد في تفاعل مع بعضها، كما قد تتفاعل مع نصوص أخرى، فتصبح هذه النصوص الدخيلة بنيات نصية، تتفاعل مع النص الجديد. ويطلق سعيد يقطين في كتابه (انفتاح النص الروائي) اسم المتفاعلات النصية على البنيات النصية التي يستوعبها النص الروائي ويتفاعل معها<sup>10</sup>، قد يكون هذا التفاعل مباشرا كالإقتباس والاستشهاد، وقد يكون ضمنيا، فيغوص ضمن بنيته ويخضع لقواعده وهي تتنوع بين قديمة ومعاصرة، تاريخية، دينية، أدبية... وغيرها.

يتجاوز عز الدين جلاوجي في كتاباته فضاء منشئه وبيئته، لينهل من مشارب عدة تجمع بين القديم والمعاصر عبر مساءلة التاريخ، واستدعاء الموروث الشعبي، والأدبي والديني واستحضار الثقافة العربية الإسلامية، لينتج نصا تكتمل ملامحه بهذا الفيسفاء الغني، والمشبع بالدلالة قصد الخروج به عن الأطر الزمنية والمكانية، فيعمد إلى إدهاش القارئ والزج به في عوالم سردية عميقة عبر لغة تسمو عن التقريرية والمباشرة، ليعمل على إستراتيجية مخالفة ومباغته القارئ، تكسر خطية قراءته وتعصف به نحو فضاءات نصية مترامية الأطراف.

يتكى عز الدين جلاوجي على مصادر ومرجعيات نبعت عن ثقافته العربية الإسلامية وتخصه الأدبي والنقدي، وسابق خبرته في مجال الكتابة الشعرية، والقصصية والمسرحية، فشكلت مصادر ضرورية اعتمدها الكاتب في إثراء كتاباته، إلى جانب مصادر طوعية، استلهمها من آداب عربية وأخرى عالمية، وأغلبها دينية تجمع بين الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والقصص القرآني، إضافة إلى الموروث الحكائي متمثلا في (قصص ألف ليلة وليلة)، و(كليلة ودمنة) وغيرها، كما اعتمد على المتون التراثية، كونها نتاج للتراكم الثقافي والفكري ويحمل خبرات الشعوب، وخلاصة التفاعل الحيوي بين الإنسان وبيئته الطبيعية والاجتماعية، وكشف عن التأثير والتأثير المتبادلين بين المجتمعات المختلفة والثقافات والأفكار المتباينة.

### - 4\_ المتفاعلات التاريخية وقضية البحث عن الهوية العربية:

تتباين المتفاعلات النصية في عتبات رواية (الفراشات والغيلان)<sup>11</sup> لعز الدين جلاوي بين الديني، والتاريخي، والأسطوري، فيستوحي عز الدين جلاوي وقائع قصته من التاريخ المعاصر، حيث تعود أحداثها إلى سنة (1998) أين تعرضت دولة كوسوفو إلى هجوم وحشي من طرف الجنود الصرب، ما استدعى تدخل قوات حفظ السلام عام (1999) لحل النزاع. ما جعل أحداث الرواية تتعدى الحدود الإقليمية لتعانق هموم إنسانية عالمية، وترسم مأساة شعب مزقتة الحرب.

يشير الروائي في الإهداء إلى قضية تتعلق بالموضوع الأساس، وإن لم يخضعها لإطار محدد بتاريخ ومكان معينين، فيتوجه بإهداءه إلى (الأطفال المضطهدين في كل شبر من هذه الأرض)<sup>12</sup> ذلك أن ما تحمله الحرب من أضرار وما ينتج عنها من ظلم وحرمان، وتشرذم وجوع، يكون أكثر وقعا على الأطفال، كونها الفئة الأكثر استهدافا وتضررا، فيفتقدون الحياة الآمنة والظروف الملائمة للعيش بسلام، ومن ثم يهدف عز الدين جلاوي عبر هذه الإشارة الضمنية إلى توجيه الأنظار نحو هذه الفئة من الأطفال المحرومة والمضطهدة بسبب الدين، والقومية، والطائفية، والاضطهاد العنصري، والثورات، والصراعات بين الشعوب والسلطات، ووجوب حمايتها بتفعيل دور المنظمة الدولية لحماية حقوق الطفل قصد التكفل بهم وتوفير الحماية لهم وضمان حقوقهم في حياة أفضل.

كما يستدعي في الفاتحة \_ من نفس الرواية \_ كلمات رمزية يستلهمها من التاريخ الإسلامي حيث (عراجين النخل) الدالة على الوطن والأصل، و(حمحمات الخيول)<sup>13</sup> الدالة على الجهاد في سبيل الله، والفتوحات الإسلامية، وعله يرى فيها الحل الأنجع لإنقاذ البلاد المسلمة من براثن المستعمر الكافر الذي يغدو أشبه ب(القراصنة)<sup>14</sup> الذين عرفوا على مر التاريخ بسلب ونهب الأموال والبضائع، و(الزنادقة)<sup>15</sup> المعروفون بالخبث والضلال والمكر والإلحاد، ومن ثم كان استحضار ومضات مشرقة من التاريخ الإسلامي غاية أراد بها مواجهة هؤلاء الزنادقة والقراصنة الذين استولوا على أرض مسلمة، فحاكت وحشيتهم وهمجيتهم في التتكيل بالمسلمين ضراوة الغيلان وهمجيتها .

لا يبرح عز الدين جلاوي التاريخ الإسلامي فيستدعيه هذه المرة من خلال رواية (سراق الحلم والفجيرة)<sup>16</sup> وعبر عنوان أحد المقاطع السردية الذي أسماه (هولاكو

والأحذية الخشنة) لتحفيز ذاكرة القارئ في استرجاع قصة هولوكو الحاكم المنغولي الذي احتل معظم بلاد غرب آسيا، واجتاح المنغوليون تحت قيادته (بغداد) عاصمة الخلافة العباسية آنذاك ومن بعدها دمشق وما جاورها، فيجمعه مع الدال اللفظي (الأحذية الخشنة) التي عاثت في المدينة فسادا ف "الرؤوس التي تظهر من فتحاتها تجعل الجبال الرواسي دكا فتذرهما قاعا صفصفا وكانت عيونها التي تخرج من محارها ثم تعود تسليخ القلوب سلخا".<sup>17</sup> فتشكل (الأحذية الخشنة) كناية عن التدخل الأجنبي الذي أصبح مرادفا للاستعمار وعز الدين جلاوجي إذ يجمع بين (هولوكو) و(الأحذية الخشنة)<sup>18</sup> فلأنهما يشتركان في الوحشية، والفساد، والظلم والأذية ذاتها.

وتدور أحداث رواية (الرماد الذي غسل الماء)<sup>19</sup> في زمن غير بعيد، وتحديدًا في الفترة التي عقبها العشرية السوداء من تاريخ الجزائر، وإن كان المؤلف لم يحدد مكان المدينة التي وقعت بها الأحداث، إلا أنه استند إلى متفاعلات نصية أغلبها مأخوذة من الواقع المعاصر، غير أن هذا لم يمنعه من استحضار استشهادات من التاريخ القديم .

يحضر التاريخ في كتابات عز الدين جلاوجي بصيغ مختلفة، ويتنوع بين الحديث والقديم، ففي رواية (الرماد الذي غسل الماء) تحضر متفاعلات تاريخية قديمة تضمنتها الحاشية 88، حيث "قيل إن أبناء المدينة من الفقراء والمساكين والمشردين والمنبوذين قد خرجوا عن بكرة أبيهم فقطعوا عزيزة والجنرال وأتباعهما، ثم أشعلوا النار في كل المدينة فاحترقت كما احترقت روما"<sup>20</sup>، فيحمل القارئ من خلالها إلى العودة إلى تاريخ روما القديم، أين أقدم الإمبراطور نيرون\* على حرق مدينة روما فقط لأن فكرة راودته حول إعادة بنائها من جديد، لكن الروائي يخالف السياق التاريخي، بل يعكس الوقائع، ليغدو السكان من طبقة المشردين والمنبوذين هم من يحرق المدينة بعد أن ذاقوا ذرعا بالفساد السائد والظلم الاجتماعي فيها رغبة منهم في عهد جديد.

تنطرق الحاشية 78 من نفس الرواية إلى قضية مهمة من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ارتبطت بما يعرف بالأقدام السوداء، إذ "قيل أن وفدا كبيرا من الأقدام السوداء ومن اليهود قد زار المدينة وحضر بعض احتفالات جمعية عزيزة الجنرال، كما زار المقبرة وشارك في إعادة كتابة بعض الأسماء على القبور، ورفعت عزيزة رغبتهم إلى السيد الوالي في العودة للمساهمة في وطنهم الذي ولدوا فيه وحرموا منه عقودا من الزمن"<sup>21</sup>، تتخذ هذه القضية بعدا سياسيا وتاريخيا حساسا، فعودة هذه الفئة من الناس إلى أرض الوطن ومطالبتهم بحق الإقامة والتمتع بالحقوق المدنية قضية



مطروحة في الواقع وتلقى ردود فعل مختلفة، لكن استدعاء هذا الشاهد من طرف الروائي ينم عن السخرية والاستهزاء، إذ كيف بمن باع البلاد وخان الثورة أن يعود ويساهم في بناء الوطن؟ وهي أيضا تلميح إلى كون المسؤولين عن المدينة والذين من مهامهم العمل على تطوير البلاد وازدهارها والحفاظ عليها منهم الخونة، الذين يعملون في الخفاء على استغلال ثرواتها وخيراتها.

## - 5\_ المتفاعلات النصية التراثية في روايات عز الدين جلاوجي: إحياء للخبرات الإنسانية وتأثير للنص الروائي:

يزود عز الدين جلاوجي رواية (الفراشات والغيلان) بشحنات دلالية عاطفية من خلال ربط الأحداث بالموروث الحكائي الشعبي، حين استحضر كلمة (الغيلان) ووظفها في العنوان للدلالة على هول الموقف وارتباطه بالشراسة والوحشية والأذية التي يتصف بها المستعمر. فالغول كائن خرافي ورد ذكره في القصص الشعبية، والحكايات الفلكلورية، ويتصف بالبنشاعة والوحشية وغالبا ما يتم إخافة الناس بقصصه، فنقول الأم: "أسكت، إنها الغيلان ستلتهمنا جميعا"<sup>22</sup> فالإنسان منذ وجوده حاول أن يعطي تفسيرات لكل ما صادفه في حياته من ظواهر غريبة أو خارقة، فصاغ لها من خياله الخصب المبررات والتفسيرات التي تتناسب مع معتقداته ومعارفه. لذا يتساءل محمد: "هل هذه هي الغيلان التي كانت تخوفنا بها جدي ليلا كلما أمعنا في إثارة غضبها؟ لقد صدقت أمي....إنهم مزيج من بشر وكلاب وخنازير....طوال عراض يحملون قطعاً حديدية تلمع....يلبسون أحذية الثقيلة....مخالب أيديهم طويلة حادة....مناخيرهم مدببة....آذانهم ممتدة إلى الأعلى، أصواتهم نباح وتكشير"<sup>23</sup> فالخيال البشري يعمل على ملء المساحات الفارغة بناء على معارفه السابقة وتصوراته عن طريق الخيال وصنع الخرافات في رسم صور ذهنية نتيجة عدم توفر الحقائق العلمية لديه، فيلجأ إلى التعويض عن هذا النقص باللجوء إلى ما تحمله الأساطير والخرافات.

يعمل عز الدين جلاوجي على تحفيز ذاكرة المتلقي باستحضاره للدال (الغيلان) وما تحمله من معاني القسوة، والعدائية، والفتك والقتل، وربطها بجنود الصرب المجرمين الذين وصفهم بالهمجية في الإهداء<sup>24</sup> التي تحيل على الوحشية والافتقار للطيبة والشفقة والعاطفة، فقد كانت حرب إبادة خلفت استشهاد ثلاثمائة ألف شهيد مسلم، واغتصبت فيها ستون ألف امرأة وطفلة وهجر مليون ونصف مواطن<sup>25</sup> لترسم صورة عن أبشع

المجازر ضد الإنسانية، انعدم فيها الوعي والضمير. وتحمل فيها الأطفال النصيب الأكبر من المعاناة.

تتنمي البنيات المتصلة بالأدب في جانبيه الشفوي والكتابي ضمن المتفاعلات الأدبية التي عرفت حضورا متميزا في رواية (سراق الحلم والفجیعة) ، إذ نهلت من مصادر أدبية قديمة، ابتدأها الروائي بأبيات شعرية لأبي حیان التوحیدی<sup>26</sup>

(الهُوى مركبي....والهدى مطلبی....

- فلا أنا أنزل عن مركبي...ولا أنا أصل مطلبی
- أنا بينها مأخوذ عن حقيقة الخبر بتمويه العبارة)<sup>27</sup>،
- تحمل هذه الأبيات التي نظمها الأديب والفيلسوف أبو حیان التوحیدی صورة عن معاناة عاشها في ظل ظروف صعبة سببها التهميش الذي طاله ودفعه للانعزال والبعد عن الناس حين تملكته حالة اغتراب للروح والحلم والأمل، والغاية من استدعاء هذه الأبيات من طرف عز الدين جلاوي في فاتحة الرواية هو ربط الصلة بين الحاضر وما فات، حيث غربة المثقف هي نفسها رغم اختلاف الزمان والمكان، ويبقى الإقصاء والتهميش هو ذاته في كل الأحوال.

يستقي عز الدين جلاوي من الموروث الحكائي سحر الغرائبي وشعرية الخيال ليضفي على روايته لمسة فنية جميلة تؤسس لانطلاقة واثقة للقارئ، من خلال توظيف شخصيات حكائية لازالت تقرض حضورها القوي في الخيال الأدبي العربي والعالمی، تجسد في استدعاء شخصيتي كل من (الملك شهریار/ شهرزاد)<sup>28</sup> في الخاتمة استهلالا يستثير به شهية القارئ للقراءة كما ختم الروائي روايته ب(سكنت شهرزاد عن الكلام المباح...حين ولى النهار وراح)<sup>29</sup> لتشكل نفيًا جزئيًا للمقطع الأصلي الذي يأتي بصيغة (وأدرك شهرزاد الصباح فسكنت عن الكلام المباح)، حيث تتوقف شهرزاد عن الحكی مساء، نهاية النهار، لتتسلم دنيا زاد دورها في الحكی (قالت دنيا زاد أنا أقص عليك حكاية لم يسمعها إنسي ولاجان...)<sup>30</sup>، فجرد عز الدين جلاوي هاته البنيات النصية بعد أن استدعاها من الموروث الحكائي القديم من أدوارها السابقة، وألبسها حضورا جديدا يتناسب وطبيعة النص الجديد، حيث انقلبت الأدوار وتداخلت الأحداث فيما بينها. كما لم يفت عز الدين جلاوي أيضا أن يذكر مصدرا آخر للتراث السردی، ممثلا في شخصيتي (كليلة ودمنة) لابن المقفع، في قول السارد: "فلم أثق بها حتى جاءني كليلة

ودمنة وكلاهما استعداد لرواية الحكاية عني... وعن حبيبتتي الحسناء نون... وعن حاء ميم وعن المدينة وما وقع فيها من غرائب وعجائب"<sup>31</sup>، بوجود كل من كليلة ودمنة في آخر الرواية، ليجعل القارئ يربط بين النصين (رواية سراق الحلم والفجيعة) و(كليلة ودمنة) فيتجاوز التقطيعات السردية والشخوص الحيوانية المشتركة بين العاملين إلى غرض آخر، وهو تشفير هوية شخوص الرواية للأغراض نفسها التي دفعت بيدبا إلى الاستعانة بالحيوانات لغرض تمرير رسائله.

ضمن عز الدين جلاوي العناوين الداخلية لرواية (سراق الحلم والفجيعة) متفاعلات مختلفة تنوعت مصادرها، منها ما له علاقة بالأساطير، على غرار (الطائر الميمون)، إذ تجمهر سكان المدينة "يلزمون الصمت... ينتظرون المعجزة... وظهور الطائر الميمون الذي سترسل به الأرواح المباركة"<sup>32</sup> حيث يحط على رأس أحد المترشحين لحكم البلاد، لكنه حط على رأس الغراب ليتولى الحكم لعهدة جديدة. يقترب الطائر الميمون في مدلوله من طائر العنقاء، المعروف في الحكايات القديمة والأساطير من حيث ضخامته وارتباطه بالأرواح وغموضه، كما يحمل نفس تعلق الناس به وتطلعهم إليه، رغم أن الروائي قد نسب إليه صفات أخرى مختلفة، إلا أن العبرة تكمن في التجدد، فما إن انتهت عهدة حكم الغراب حتى تجددت ومثلها طائر العنقاء يحترق ويموت ليخلق ويبعث من جديد.

يستدعي الروائي عز الدين جلاوي في سياق آخر فضاء روائيا يدخل ضمن المتفاعلات الأدبية المعاصرة من خلال العنوان (في رحاب الصخرة) التي تحيل ضمناً إلى رواية (صخرة طانيوس) لأمين معلوف، فكلا الروائيين يجعل من الصخرة رمزا للتأمل الصوفي فتمثل الصخرة في رواية (سراق الحلم والفجيعة) المكان حيث "كان المجذوب يجلس إلى ظل صخرة كبيرة يمسك بعصاه ويرفع رأسه ويتأمل السماء دون أن يتحرك البتة هذا ديدنه"<sup>33</sup> فهناك كان يختلي بنفسه، صامتا متأملاً، ومثله طانيوس، في ارتباطه بالصخرة كان يشبه السحر الذي يحصر ذهنه في مجال التأمل والانصراف عن كل تفكير دنيوي "تساءلت عن احتمال وجود نوع من السحر المرتبط بصخرة طانيوس. فحين عاد للجلوس عليها، لم يشعر بالحاجة لأمر مغاير تماماً للتأمل؟ التلمي؟ بل أكثر من ذلك، كان بحاجة إلى انعتاق الروح، ويعلم غريزيا أن مصيره سوف يتقرر بجلوسه على ذلك العرش الحجري، مستسلماً لسحر ذلك الموقع"<sup>34</sup> هي

الصخرة نفسها، بصلابتها وضخامتها وإشرافها على البحر حيث تشكل موضعاً مناسباً للتأمل والخلوة بالنفس والتطهر من آثام البشر والعلو بالروح إلى عالم المثل والقيم. فرضت المتفاعلات الأدبية والثقافية حضورها في رواية (الرماد الذي غسل الماء) فأضفت على النص لمسة جمالية وفنية تخرج بالقارئ من فضاء الجريمة والملابسات إلى فسحة أرحب تبدأ بما ورد في الحاشية 23 "المسرح البلدي تحفة المدينة، بناه الفرنسيون قبل الثورة، وزرعوا فيه الحياة حين ينقلون إليه حركتهم ليلاً، ويضخون شرايينه فناً وإبداعاً..."<sup>1</sup> مستعرضاً وجهاً آخر من وجوه المستعمر الفرنسي، مخالف لما ألفناه، وجه يشع حضارة وثقافة، حيث أسهم الفرنسيون في بعث حركة أدبية وفنية في هذه المدينة الصغيرة من خلال

بناء مسرح تقام فيه عروض مسرحية خلقت نشاطاً ثقافياً وسط ذلك الجمود، إلا أن الأمر اختلف فيما بعد ف "مذ غادر الفرنسيون المدينة تسللت إليه يد اليأس والقنوط، وتغشاه حزن عميق رهيب لف الجدران البيضاء والأبواب البنية والتمائيل التي ثبتت من الخارج رمزا للآلهة الفن والجمال"<sup>2</sup> مستعينا هذه المرة بالميثولوجيا الإغريقية أين كانت آلهة الفن والجمال، والموسيقى... يجلبن البهجة إلى الاحتفالات والمناسبات السعيدة وهن مصدر إلهام الفنانين والشعراء.

يعمل عز الدين جلاوجي دائماً على تخصيص مجال رحب في كتاباته للجانب الديني، فتتنوع المتفاعلات الدينية بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويتجلى الجانب الصوفي الذي يحضر بقوة وبرمزية عالية على مستوى المتن الروائي، فتظهر أولى المتفاعلات في هذا الجانب في الاستهلال إذ يقول: "أستلهم بركات الولي الصالح"<sup>35</sup> وفي العبارة إشارة إلى تيمن الناس وتبركهم بأضرحة أولياء الله الصالحين، وهم أشخاص على درجة عالية من التدين والتقوى ويملكون بركات وكرامات، بعد وفاتهم تقام لهم أضرحة، يزورها الناس للتبرك.

يطوف عز الدين جلاوجي بقارئه ضمن فضاءات مكانية وزمانية، قديمة وحديثة، دينية، ميثولوجية، تاريخية وثقافية، ليكشف عن راهن الوضع العربي حيث تتجاذبه قوى الشر والخير فيعيش بين مهاوي اليأس وإشراقات الأمل في قالب سردي يسمو به نحو التجريب والغرائبي عاكساً فوضى الواقع بتضارب القيم واختفاء المبادئ، وغياب الضمير وهيمنة الفساد والظلم الاجتماعي، لتغدو مناهة يتغرب فيها كل مواطن صالح في انتظار أن ينبلج الصبح ويتحقق الحلم بالعدالة والنزاهة.

## الحواشي:

- 1\_ حسن بحر اوي ، بنية الشكل الروائي. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، المغرب، ص17.
- 2\_ نادر أحمد عبد الرزاق (2009)، الشخصية الروائية، بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني. دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع (د،ب)، ط1، مصر. ص26.
- 3\_ عبد الرحيم محمد عبد الرحيم(1990)، دراسات في الرواية العربية. ، دار الحقيقة للإعلام الدولي، ط1، ص03.
- 4\_ صلاح فضل (2005) ، لذة التجريب الروائي. أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، ، ط1، مصر، ص5.
- 5 - ينظر: فولغانغ إيزر(1998)، التخيلي والخيالي من منظور الأنطولوجية الأدبية. تر: حميد لحداني والجللي الكدية، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، ، ص07.
- 6 - محمد القاضي (2008)، الرواية والتاريخ. دراسات في تخيل المرجعي. دار المعرفة للنشر، ط1، تونس، ص18.
- 7\_ صلاح فضل، لذة التجريب الروائي. ص3.
- 8\_ علي حرب (1994)، أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر. دار الطليعة، ط1، بيروت ، ص83.
- 9\_ سعيد يقطين (2006)، الرواية والتراث السردي. رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة ، ص5.
- 10 - ينظر: سعيد يقطين (2001) ، انفتاح النص الروائي. المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء ، المغرب. ص106.
- 11\_ عز الدين جلاوي (2006)، الفراشات والغيلان، دار أهل القلم للنشر ، ط2، سطيف، الجزائر ،
- 12 - المصدر نفسه، ص 3.
- 13 - عز الدين جلاوي، الفراشات والغيلان ، ص 05.
- 14 - المصدر نفسه، ص 05.
- 15 - المصدر نفسه، ص 05.
- 16\_ عز الدين جلاوي (2006)، سراق الحلم والفجيعة. منشورات أهل القلم، ط1 ، سطيف، الجزائر.
- 17\_ المصدر نفسه، ص 94.
- 18\_ عز الدين جلاوي، سراق الحلم والفجيعة. ص66
- 19\_ عز الدين جلاوي (2010)، الرماد الذي غسل الماء. دار الروائع للنشر والتوزيع، ط4، الجزائر .
- 20 - المصدر نفسه، ص 250.

- \* - الإمبراطور نيرون (15 ديسمبر 37-9 يونيو 68) خامس وآخر إمبراطور للإمبراطورية الرومانية وصل إلى العرش لأنه كان ابن كلوديس بالتبني - مدة حكمه (68-54م)
- 21 - عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء. ص 219 .
- 22 - عز الدين جلاوجي، الفراشات والغيلان، ص 10 .
- 23 - المصدر نفسه، ص 10.
- 24 - المصدر نفسه، ص 3.
- 25 - ينظر : حرب كوسوفو ويكيبيديا. الموسوعة لبحرة . ar.wikipedia.org.
- 26 - ينظر: أبو حيان التوحيدي (1981). الإشارات الإلهية. تحقيق عبد الرحمن بدوي. دار القلم وكالة المطبوعات. بيروت. الكويت.. ص 167
- 27 - عز الدين جلاوجي. سرادق الحلم والفجيرة. ص 07 .
- 28 - المصدر نفسه، ص 07.
- 29 - المصدر نفسه ص 126.
- 30 - عز الدين جلاوجي، سرادق الحلم والفجيرة. ص 126.
- 31 - المصدر نفسه، ص 126.
- 32 - المصدر نفسه، ص 120.
- 33 - عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، ص 47.
- 34 - أمين معلوف (2001). صخرة طانيوس. تر: نهلة بيضون. دار الفارابي. بيروت لبنان المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار (ANEP) ط1 . الجزائر. ص 295.
- 1\_ عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، ص 55.
- 2\_ المصدر نفسه ، ص 55.
- 35 - عز الدين جلاوجي. الرماد الذي غسل الماء ص 05

## قائمة المصادر والمراجع:

### الروايات:

- 1\_ عز الدين جلاوجي، (2006)، الفراشات والغيلان، رابطة أهل القلم، الجزائر.
- 2\_ عز الدين جلاوجي، (2006) ، سرادق الحلم والفجيرة، منشورات أهل القلم، الجزائر.

3\_ عز الدين جلاوي، (2010)، الرماد الذي غسل الماء، دار الروائع للنشر والتوزيع، الجزائر.

#### المصادر والمراجع:

1\_ أبو حيان التوحيدي، (1981)، الإشارات الإلهية. تحقيق عبد الرحمن بدوي. دار القلم وكالة المطبوعات. لبنان.

2\_ أمين معلوف، (2001)، صخرة طانيوس. تر: نهلة ببيضون. دار الفارابي. لبنان، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر،

3\_ حسن بحراوي، (1990)، بنية الشكل الروائي. المركز الثقافي العربي. المغرب.

4\_ سعيد يقطين، (2001)، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، المغرب،

5- سعيد يقطين، (2006)، الرواية والتراث السردي، رؤية للنشر والتوزيع، مصر،

6\_ صلاح فضل، (2005)، لذة التجريب الروائي. أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، مصر.

7\_ عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، (1990)، دراسات في الرواية العربية، دار الحقيقة للإعلام الدولي.

8\_ علي حرب، (1994)، أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر، دار الطليعة، لبنان.

9\_ إيزر فولفغانغ. (1998)، التخيلي والخيالي من منظور الأنطولوجية الأدبية. تر. حميد لحداني والجلي الكدية. مطبعة النجاح الجديدة. المغرب.

10\_ محمد القاضي، (2008)، الرواية والتاريخ، دراسات في تخيل المرجعي. دار المعرفة للنشر. تونس.

11\_ نادر أحمد عبد الرزاق، (2009)، الشخصية الروائية، بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع (د،ب)، مصر.

#### المواقع الالكترونية:

\_ ويكيبيديا، حرب كوسوفو. الموسوعة الحرة ar.wikipedia.org / 18:44  
<https://ar.wikipedia.org/wiki> .2021/12/09